مجلة الحكمة للدراسات والأبحاث المجلد 06 العدد 01 (29) 2026/02/28
ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

The Theory of Education in Ibn Miskawayh and the Problematic of Moral Human Formation in a Changing World

Dr. Beradi Abderrahmane1
Amin El-Akal El-Hadj Moussa Ag Akhamouk University of Tamanrasset – Algeria
b11.abderrahmane@gmail.com
Dr. Bābba Aicha[2]
Amin El-Akal El-Hadj Moussa Ag Akhamouk University of Tamanrasset – Algeria
biba.aicha@yahoo.fr

Received:15/01/2026 Accepted : 22/02/2026

Abstract:

This research paper examines one of the prominent figures in education and in the moral and social formation of the human being, namely Ibn Miskawayh (Aḥmad ibn Moḥammad Miskawayh). He was among the earliest thinkers to address ethics and the philosophy of education in a systematic manner and is considered one of the first to direct attention to ethical studies among Islamic philosophers. He sought to reconcile theory and practice and showed particular concern for the moral upbringing of the young so that they might grow up grounded in virtue. This vision is clearly articulated in his purposefully structured and practically oriented work, Tahdhib al-Akhlaq wa Tathir al-A'raq, a book distinguished by its clear organization, strong argumentation, lucid style, and an overarching spirit of hope and optimism.

The paper explores Ibn Miskawayh's theory of education as an integrated ethical–pedagogical project aimed at building the human being through the refinement of the soul and the rectification of conduct. In a context marked by increasing value-based challenges in the contemporary world—challenges that have led to moral imbalance and a decline in the humanistic dimension of education—there emerges a pressing need to re-examine the Islamic philosophical heritage in search of theoretical foundations capable of morally reconstructing the human person.

Accordingly, the central problem of this study is: To what extent can Ibn Miskawayh's theory of education be regarded as a comprehensive ethical–

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

educational project for human formation, and how relevant is it in confronting contemporary value-based challenges?

The study aims to uncover the philosophical and ethical foundations upon which Ibn Miskawayh's educational theory is built, to highlight the practical orientation of his pedagogical thought through an analysis of *Tahdhib al-Akhlaq wa Tathir al-A'raq*, to clarify the relationship in his thought between the moral formation of the individual and the reform of society, and to assess the contemporary relevance of his project in addressing current crises of values.

Methodologically, the study adopts the analytical method to examine the central concepts of Ibn Miskawayh's educational theory, as well as the historical method to situate his ideas within their philosophical and civilizational context. The objective is to demonstrate that his educational theory is grounded in an integrated conception of the human soul, wherein moderation among its faculties constitutes the foundation for the acquisition of virtue. Education, in his view, is a gradual process of moral refinement based on training and habituation rather than mere cognitive instruction. Furthermore, his pedagogical project transcends the individual level to encompass societal reform, grounded in the centrality of ethics to human civilization.

Keywords: Education – Ethics – Miskawayh – Changing Society – Human Formation.

مجلة الحكمة للدراسات والأبحاث المجلد 06 العدد 01 (29) 2026/02/28
ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

نظرية التربية عند مسكويه وإشكالية بناء الإنسان الأخلاقي في عالم متغير

د/ برادي عبد الرحمان[1]
جامعة امين العقال الحاج موسى اق اخموك تامنغست – الجزائر
b11.abderrahmane@gmail.com
دة/ بابه عائشة[2]
جامعة امين العقال الحاج موسى اق اخموك تامنغست – الجزائر
biba.aicha@yahoo.fr

ملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية علم من أعلام التربية وبناء الانسان اخلاقيا واجتماعيا، لكونه من أوائل المتناولين لموضوع الاخلاق وفلسفة التربية، فهو أول من وجه الأنظار الى الدراسات الأخلاقية بين فلاسفة الإسلام ، ومن حيث انه قد حاول التوفيق بين النظر والعمل فضلا عن اهتمامه بتربية الأحداث كي يشبوا على الفضيلة، في كتاب محدد الغاية عملي النزعة ، منظم الموضوعات واضح الأدلة قوي البيان يفيض بالأمل والتفاؤل، نظرية التربية عند الفيلسوف الإسلامي أحمد بن محمد مسكويه، بوصفها مشروعًا أخلاقيًا—تربويًا متكاملًا يهدف إلى بناء الإنسان من خلال تهذيب النفس وتقويم السلوك، في سياق تتزايد فيه التحديات القيمية التي يشهدها العالم المعاصر، وما نتج عنها من اختلال في المنظومات الأخلاقية وتراجع البعد التربوي الإنساني، تبرز الحاجة إلى إعادة مساءلة التراث الفلسفي الإسلامي بحثًا عن أسس نظرية قادرة على إعادة بناء الإنسان أخلاقيًا. وعليه، فالإشكالية المركزية لهذه الدراسة: **إلى أي مدى يمكن اعتبار نظرية التربية عند ابن مسكويه مشروعًا أخلاقيًا—تربويًا متكاملًا لبناء الإنسان، وما مدى راهنيتها في مواجهة التحديات القيمية المعاصرة؟**، كما تهدف هذه الدراسة إلى محاولة الكشف عن الأسس الفلسفية والأخلاقية التي تقوم عليها نظرية التربية عند ابن مسكويه وابراز الطابع العملي لنزعته التربوية من خلال تحليل مؤلفه

تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق. بالاضافة الى بيان العلاقة بين بناء الفرد أخلاقيًا وإصلاح المجتمع في فكره. واختبار مدى راهنية هذا المشروع في معالجة أزمات القيم المعاصرة. اما المنهج المتبع فهو المنهج التحليلي لتحليل المفاهيم المركزية في نظرية التربية عند ابن مسكويه والمنهج التاريخي لوضع أفكاره في سياقها الفلسفي والحضاري. بغية الوصول الى نظرية تربوية تقوم على تصور متكامل للنفس الإنسانية يجعل من الاعتدال بين قواها أساسًا لاكتساب الفضيلة . وأن التربية عنده عملية تهذيب تدريجي تقوم على التمرين والاعتياد، وليست مجرد تلقين معرفي، وأن مشروعه التربوي يتجاوز الفرد إلى إصلاح المجتمع، انطلاقًا من مركزية الأخلاق في العمران البشري.

الكلمات المفتاحية: التربية – الاخلاق – مسكويه – مجتمع متغير – بناء الانسان.

مقدمة:

تقوم نظرية التربية عند مسكويه على مجموعة من الاسس الفلسفية، ولاسيما تصوره للإنسان بوصفه كائنًا عاقلًا واجتماعيًا، قابلًا للاكتساب الأخلاقي بالتربية والممارسة لا بالفطرة وحدها، ويُبرز البحث أن التربية عند مسكويه لا تقتصر على نقل المعارف، بل تقوم على إحداث تحول داخلي في بنية النفس، من خلال التدرج، والعادة، ومجاهدة الأهواء، بما يحقق التوازن بين قواها ويقود إلى الفضيلة. كما يناقش البحث راهنية هذا التصور في ضوء التحولات الاجتماعية والثقافية المعاصرة، مبيّنًا أن أزمة القيم الراهنة ليست نتيجة فقدان المعايير فحسب، بل تعبير عن اختلال في وظيفة التربية ودورها الإنساني. ويخلص البحث إلى أن نظرية مسكويه التربوية، رغم انتمائها إلى سياق تاريخي محدد، تظل قابلة لإعادة القراءة والتوظيف في بناء الإنسان الأخلاقي المعاصر، لما تنطوي عليه من رؤية فلسفية تجمع بين العقل والأخلاق والمجتمع، وتسهم في إعادة الاعتبار للتربية بوصفها ركيزة أساسية في تحقيق التماسك الاجتماعي والارتقاء الإنساني في عالم متغير.

وعلى أَيَّة حال فان آراء مسكويه في فلسفة الأخلاق والتربية بالمفهوم الشامل للكلمة من الأفكار الرائدة في الفكر الإسلامي والإنساني، لأن الغاية من الأخلاق والتربية واحدة وهي البحث عن السعادة.

كما كان لهذا الفكر التربوي المسكويهي اثر كبير في الفكر الإسلامي وبناء الانسان اخلاقيا، فلقد تأثروا به اللاحقين تأثرا واضحا وان لم يذكروا اسمه في بعض الأحيان ، نعم إنهم استفادوا منه كثيرا واطلعوا على أفكاره ان لم يكونوا عليه عالة في بعض المواقف كما قال الأستاذ المغربي علي عبد الفتاح.

نظرية التربية عند مسكويه:

تُعدّ نظرية التربية عند ابن مسكويه من أبرز المحاولات الفلسفية في التراث الإسلامي التي صاغت مشروعًا متكاملًا لبناء الإنسان أخلاقيًا وعقليًا. فقد انطلق من رؤية فلسفية للنفس الإنسانية تقوم على توازن قواها واعتدالها، وجعل من اكتساب الفضيلة غايةً قصوى للعملية التربوية، معتبرًا أن الأخلاق ليست معطًى فطريًا ثابتًا، بل ملكات تُكتسب بالتمرين والاعتياد والتوجيه العقلي.

وقد تجسّد هذا التصور في مؤلفه تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، حيث قدّم معالجة منهجية تجمع بين العمق النظري والنزعة العملية، مؤكدًا أن التربية فعل إصلاح تدريجي للنفس يهدف

إلى تحقيق السعادة بوصفها كمالًا إنسانيًا. ومن ثمّ، فإن مشروعه التربوي لا ينحصر في تقويم الفرد فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى تأسيس مجتمع قوامه الاعتدال والفضيلة، بما يجعل فكره أحد المرتكزات المبكرة لفلسفة تربوية أخلاقية ذات أفق إنساني رحب، لتبيان الرؤية التربوية المسكويهية ستناول ثلاث محطات رئيسة شملت مشروعه التربوي.

اولا/ نظرية النفس عند الطفل وتغيير سلوكه:

1-نظرية النفس عند الطفل:

بما ان الإنسان يعرف أساسا عن طريق نفسه ، فان الطفولة كموضوع التربية وكمرحلة من الحياة الدنيا تمتاز بلا شك بخاصيات تنفرد بها في مستوى النفس ، ولهذا وضع مسكويه منهجا لرياضة الصبيان وتأديبهم حتى ينشأوا صالحين ومتخلقين بالأخلاق الطيبة المرضية ، ويرتكز هذا المنهج على فهمه للنفس البشرية وكيف تظهر متدرجة لدى الطفل.

أ-القوة الشهوانية:

تكون نفس الصبي في أولها ساذجة من غير نقش ذلك "أن الطفل شأنه في ذلك شأن الجاهل يمتاز بسيطرة القوى السفلى في النفس على القوى العليا أي القوة العاقلة"(احمد شبشوب، 1991، ص135). ثم تظهر فيها قوة الإحساس باللذة والألم وما يتولد منها من قوى أخرى أولها القوة الشهوانية البهيمية التي تطلب أسباب اللذات المناسبة للطفل يقول مسكويه: "ان أول قوة تظهر في الإنسان هي القوة التي يشتاق بها الى الغذاء الذي هو سبب كونه حيا ، فيتحرك بالطبع الى اللبن ويلتمسه من الثدي الذي هو معدنه من غير تعليم ولا توقيف ، ويحدث له مع ذلك قوة على التماسه بالصوت الذي هو مادته ودليله الذي يدل به على اللذة والأذى...ثم تحدث فيه قوة على التحرك نحوها بالآلات التي تخلق له...ثم يحدث له التشوق الى الأفعال التي تحصل له...ويرتسم في قوته الخيالية مثالات فيتشوق إليها"(ابو علي محمد مسكويه، 2006، ص45).

ب-القوة الغضبية:

وهاته القوة الغضبية السبعية التي بها يدفع الصبي عن نفسه ما يؤذيه يقول مسكويه: "وتظهر فيه قوة الغضب التي يشتاق فيها الى دفع ما يؤذيه ومقاومة ما يمنعه من منافعه فان أطاق بنفسه ان ينتقم من مؤذياته

انتقم منها ، وإلا التمس معونة غيره وانتصر بوالديه بالتصويت والبكاء"(ابو علي محمد مسكويه، 2006، ص 45).

ج–القوة الناطقة:

إذا حدث للصبي الشوق الى تمييز الأفعال الإنسانية من معارف وعلوم يسمى عاقلا: "ثم يحدث له الشوق الى تمييز الأفعال الإنسانية حتى يصير الى كماله في هذا التمييز فيسمى حينئذ عاقلا...الى ان ينتهي الى الغاية الاخيرة...وهو الخير المطلق الذي يتشوقه الإنسان من حيث هو إنسان"(ابو علي محمد مسكويه، 2006، ص45).

وأول مظهر من مظاهر القوة العاقلة في نفس الصبي حسب مسكويه هو الحياء بان يخاف الصبي من ظهور شيء قبيح ، الم يقل مسكويه: "أول ما ينبغي ان يتفرس في الصبي يستدل به على عقله الحياء فانه يدل على انه قد أحس بالقبيح ، ومع إحساسه به يحذره ويتجنبه ويخاف ان يظهر منه أو فيه ، فإذا نظرت للصبي وجدته مستحييا...اعلم ان نفسه قد أحست بالجميل والقبيح ، وان حياءه هو انحصار نفسه خوفا من قبيح يظهر منه"(ابو علي محمد مسكويه، 2006، ص45).

وهذه النفس قابلة ومستعدة للتأديب صالحة للعناية لا يجب ان تهمل ولا تترك لأن في دخائلها ما يصدها عن جميع ألوان الانحراف، وتنمي فيها النزاعات الخيرة والعادات الطيبة وصمودا أمام الأحداث ، وتحدث فيها توازنا يشمل جميع أفاق النفس حتى يتحقق للإنسان كيان فريد في سلوكه واتجاهاته وميوله وعواطفه ولا تستعبده الشرور ، وإنما تتحقق للإنسان قيادة رشيدة على نفسه.

2–نظرية تغيير سلوك الطفل:

ان سلوك الطفل في نظر مسكويه قابل للتغيير لأن نفس الصبي تحوي بالقوة نفسا عاقلة وبالتالي فالصبي ينتمي الى دائرة الإنسان ، وهنا يظهر دور التربية لتغيير سلوك الطفل ويتمثل في "الاعتماد على هذه الاستعدادات الكامنة بالقوة في الطفل لإعانته على إخراجها الى الفعل"(احمد شبشوب، 1991، ص136).

يقول مسكويه: "ونفس الصبي مستعدة للتأديب...صالحة للعناية لا يجب ان تهمل ولا تترك ومخالطة الأضداد الذين يفسدون بالمقارنة والمداخلة ، وان كانت بهذه الحال من الاستعداد لقبول الفضيلة ، فان

نفس الصبي ساذجة لم تنتقش بعد بصورة ، ولا لها رأي وعزيمة تميلها من شيء الى شيء ، فإذا نقشت بصورة وقبلتها نشأ عليها واعتادها"(ابو علي محمد مسكويه، 2006، ص46).

ومن هذا الموقف نفهم ان مسكويه نفي دور الوراثة في التربية وأكد على أهمية الاكتساب في بلورة شخصية الفرد وهذا ما قالت به المدرسة السلوكية ، فها هو واطسون (johnbroaduswatson 1878م-1958م) يقول: "أعطني اثنتي عشر طفلا سليمي الأجسام فإنني سأَعدك بأني سآخذ منهم واحدا وسأروضه حتى يصبح الاختصاصي الذي تريد ، طبيبا أو قاضيا أو فنانا أو تاجرا وحتى متسولا أو سارقا ، وذلك مهما كانت الملكات والقدرات والخاصيات التي يتمتع بها أجداده"(احمد شبشوب، 1991، ص84).

إذن فالمسار التربوي سيعتمد على ما في النفس واستعدادها للتأدب ، وهذا ما يجعل الطفل يرتفع الى مرتبة الإنسانية ويبتعد عن سفاسف المراتب التي تستعبدها الشرور والميول ، وبذلك تسيطر قوة العقل على قوى النفس الأخرى وتكتسب الاخلاق بالتعلم والتهذيب والنصح المستمر حتى تصير ملكة.

إلا ان الناس يتفاوتون في قبول هذه الاخلاق مع أنهم مطبوعون على قبول الخلق بالتأديب والمواعظ بدرجات مختلفة وبتعبير مسكويه سريعا أو بطيئا ، الم يقل "وأما مراتب الناس في قبول هذه الآداب التي سميناها خلقا والمسارعة الى تعلمها والحرص عليها فإنها كثيرة ، وهي تشاهد وتعاين فيهم وخاصة في الأطفال...ومن الأحوال المتفاوتة ما تعرف به من مراتب الإنسان في قبول الاخلاق الفاضلة...ليسوا على رتبة واحدة...وإذا أهملت الطباع ولم ترض بالتأديب والتقويم نشا كل إنسان على سوم طباعه ، وبقي طول عمره كله على هذه الحال التي كان عليها في الطفولة..." (ابو علي محمد مسكويه، 2006، ص34). فالطفل يولد على الفطرة والطبع البسيط، فإذا قوبلت نفسه الساذجة بخلق من الاخلاق نقشت في النفس حتى تأخذ بجميع أطرافها وتصير كيفية راسخة فيها.

وكما قلنا ان أول ما ينبغي ان يتفرس في الصبي الحياء ، وهذا الأخير دليل على ظهور الحس الخلقي في الصبي الذي يستدل به الصبي على جميل وقبيح الأفعال ، وهذا ما يبدوا واضحا في نظريات حديثة في النمو الخلقي وبالتحديد في نظرية ليوفنجر حيث "يبدأ الطفل في استدخال القواعد والعمل على التوحد مع مصادر السلطة الخارجية المحيطة به الى حد ما ، ويبدأ في إظهار شعور الخجل حين يأتي بالأمر المشين مما يشير الى نمو الذات العليا والحس الخلقي ، بذلك يعرف الطفل السلوك السوي النبيل ممن حوله في المجتمع..."(محمد

حمزة سليماني وملا معمور بار عبد المنان، 1995، ص116). وبذلك يدرك الطفل ما هو خير وكثير من القيم الأخلاقية إذا ما بلغ سن التمييز الإدراكي ، وهذا الحس الخلقي يعرف حديثا بالوجدان أو الضمير اليقظ ، أو الذات العليا...الخ.

يميز هذا الحس بين نوعين من السلوك سلوك الخير وسلوك الشر ، يقول مسكويه: "حتى إذا تعودوا ذلك واستمروا عليه مدة من الزمن كثيرة أمكن فيهم حينئذ ان يعلموا براهين ما أخذوه تقليدا"(ابو علي محمد مسكويه، 2006، ص33).

ولأهمية تنشئة وتربية الأحداث على الآداب والفضائل حتى تسود الفضيلة يقول مسكويه: "ان نبدأ بالشوق الذي يحصل فينا للغذاء فنقومه ، ثم بالشوق الذي يحصل فينا الى الغضب ومحبة الكرامة فنقومه ، ثم بآخرها الشوق الذي يحصل فينا الى المعارف والعلوم فنقومه ، وهذا الترتيب الذي قلنا انه طبيعي...يظهر فينا منذ أول نشوئنا أعني أولا أجنة ثم أطفالا ثم ناسا كاملين وتحدث هذه القوى مرتبة"(ابو علي محمد مسكويه، 2006، ص33).

مما سبق يتضح ان مسكويه أكد على ضرورة أثر الإرادة والسلوك ووحدتهما في اكتساب السلوك الخلقي ، هذا ما صرح به العلم حديثا وخاصة علم النفس الحديث الذي "أكد على أهمية العلاقة الوظيفية بين الإرادة الفكرية والسلوك العلمي ، بمعنى وجود فكرة امتزاج السلوك عموما والسلوك المعتاد والخلقي والرغبة بالقوة الدافعة"(سليمان محمد حمزة وملا معمور بار عبد المنان، 1995، ص118).

-دور القدوة أو النموذج في تربية الطفل:

اهتم مسكويه بدور القدوة أو النموذج في التنشئة ، ويتخذ من نفسه مثالا للاقتداء بالسلوك الخلقي الفاضل يقول في ذلك: "وليعلم الناظر في هذا الكتاب أني خاصة تدرجت الى فطام نفسي بعد الكبر واستحكام العادة وجاهدتها جهادا عظيما ، ورضيت لك ايها الفاحص عن الفضائل والطالب للأدب الحقيقي بما رضيت لنفسي ، بل تجاوزت لك في النصيحة الى ان أشرت عليك في ابتداء أمري..."(ابو علي محمد مسكويه، 2006، ص42). فالقدوة أو النموذج تعتبر المثال الواقعي للسلوك الخلقي الأصيل والقدوة الحسنة تكون سواءً للأفراد أو للجماعات ، المهم ان تكون للأفراد على صفة مثاليين ممتازين وتكون للجماعات على صفة جماعات ممتازة.

فتربية الأبناء بالقدوة من أقوى الوسائل في تعويد الأحداث على فعل الخير ، وقد جعلها الإسلام وسيلة من وسائله ، الم يدعو الإسلام الى الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم يقول تعالى: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ اِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُواْ اللهَ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيْرًا"(القران الكريم، سورة الاحزاب، اية رقم 21).

وما يؤكد أهمية القدوة في تحديد سلوك الإنسان والعادات التي يكتسبها الناشئ ان يتعلم من الأفعال أكثر من الأقوال ، بل أن التلقين لا يكاد يثمر الثمرة المطلوبة في وجود الفعل المخالف ، وأول فعل من الأفعال يقوم به الطفل هو تقليده لأفعال والديه.

هذا الأمر لا يشمل بالطبع الإنسان وحده ، بل نجده حتى عند صغار الحيوانات فتجده يتبع اثر أمه ؛ وحتى تكتسب مثلا مهارة معينة كسياقة المركبة تحتاج الى ان ترى السائق المدرب يسوق المركبة فتقلده وتقتدي به خطوة خطوة ، وما تقليدك لخطوات العمل بحذافيرها إلا لقناعة داخلية ان مدربك سائق ماهر وصاحب تجربة طويلة في ميدان السياقة ، حتى انك لا تناقشه فيما يقول ويفعل لأنك تراه أَخير منك ، والطاعة لأهل الخبرة مسألة عقلية وعلمية وحياتية.

ولا تُعدم القدوة أو النموذج في أي وقت من الأوقات وفي أي مكان من الأماكن لأن الأنبياء والأئمة عليهم السلام والصالحون من عباد الله الذين خَلّد التاريخ ذكراهم قدوات خالدة وليست قدوات لمقاطع زمنية محددة ، ولو كانوا قد انتهوا كقدوات لما كان الله تبارك وتعالى يطلب منا التأسي والتقيد بهم رغم البعد الزمني الذي يتجاوز آلاف السنين.

ومن علماء العصر الحديث الذين استخدموا المحاكاة والتقليد وسيلة لإكساب السلوك الأخلاقي بريان(Bryan – 1969م) حيث رأى "ان مشاهدة نموذج يتحلى بالإيثار يؤدي الى اكتساب السلوك الأخلاقي بشرط ان يظهر ذلك في تصرفات النموذج وان مجرد الإرشاد اللفظي لا يؤدي الى أثر ، خصوصا إذا صحبه عكس ما يقوله النموذج..."(سليمان حمزة وملا معمور عبد المنان، 1995، ص118).

فالنموذج أو القدوة من أعظم وسائل التربية ، لكن أطفالنا وشبابنا الآن يعيش صراعا داخليا نفسيا رهيبا لأنه فقد القدوة الطيبة الصالحة في جانب التربية لا سيما وقد قُدِّم الفارغون والتافهون ليكونوا القدوة والمثال ، فمن اليسير جدًّا ان نقدم منهجا نظريا في التربية لكن من العسير ان يتحول هذا المنهج الى واقع يتحرك في حياة الناس ، فنحن نتغنى بالصدق ولكن ندر الصادقون ونتغنى بالأمانة ولكن قل أهل الأمانة ،

ونسعد بالوفاء بالعهد والوعد ولكن ندر الموفون بوعودهم وعهودهم وهكذا... ؛ كيف يتعلق الطالب بأستاذه وهو يرى أستاذه يأمر بأمر ويخالفه؟ ، وكيف يتعلم الولد الصدق وهو يرى أباه يكذب؟ ، وكيف تتعلم البنت الفضيلة وهي ترى أمها مستهترة؟.

–دور العادة والتكرار في تربية الطفل:

ركز مسكويه على دور العادة والتكرار في تربية الأحداث يقول في ذلك: "حتى إذا تعودوا ذلك واستمروا عليه مدة من الزمن كثيرة أمكن فيهم حينئذ ان يعلموا براهين ما أخذوه تقليدا" (ابو علي محمد مسكويه، 2006، ص33). وفي هذا يذهب الأستاذ اسعد السحمراني (ولد عام1953م) الى القول: "ان للتربية مكانة هامة في إعداد الإنسان الذي تتأصل فيه الفضائل بحيث تصبح عادة فيه ، بذلك تكون المقدمة الى الفضيلة هي تغيير ذات الإنسان وفق أسس الخلق السليم ، وإذا أصبحت الاخلاق الفاضلة طبعا للإنسان وعادته أهلته للتآلف مع أبناء جنسه ، وسهلت له حسن الصحبة مع الآخرين"(احمد السحمراني، 1988، ص152). حيث يصبح السلوك الأخلاقي جزءا من شخصية الطفل ويؤثر على بقية العادات ، فالتربية تسعى دائما "لإحداث تغييرات ايجابية في سلوك الفرد في البيت والمدرسة ومؤسسات المجتمع المختلفة كتنمية القيم الأخلاقية الجيدة في شخصية الفرد وإكسابه العادات الايجابية في التعامل مع الآخرين" (احمد سمارة نواف وعبد السلام موسى العديلي، 2008، ص56).

ويشير الأستاذ الهاشمي الى ان العادة "ميل نفسي متعلم مكتسب بالتكرار والخبرة للقيام بذات الأعمال السلوكية ، بحيث يقوم بها الإنسان بطريقة الية عفوية الى حد بعيد ويطمئن الفرد سعادة في تمام الأداء" (حمزة سليماني وملا معمور بار عبد المنان، 1995، ص113).

ثانيا/ دور البيئة الأسرية في تربية الأحداث:

بعد ان تعرفنا على قوى النفس لدى الصبي وكيف تدرجت من غير نقش الى ان أصبحت تتشوق الى الأفعال الإنسانية ، وتعرفنا على كيفية تغيير السلوك في تربية الأحداث ننتقل الى دور الأسرة وذلك في السنوات الأولى للطفل الذي حدده مسكويه لتربية الأحداث ، واعتبره من أهم الأمور واوكدها . إذن فكيف يقوم الأبوان بهذه المهمة؟ ، وكيف يصون الأبوان طفلهما؟.

إن فترة الطفولة من أخطر الفترات التي تتحدد فيها ملامح رجل وامرأة الغد ، وتربية الأبناء فن يستعصى على كثير من الآباء والأمهات ، لذلك كثيرًا ما نجد الآباء يتساءلون عن إحدى السبل للتعامل مع الأحداث.

1-طرق تربية الطفل:

وما دام ان نفس الصبي تسيطر عليها القوى الشهوانية والغضبية في بدايتها فلا يمكننا ان نستعمل معها الوسائل العقلية والبرهانية لأنها سلبية في تربيته فالأنسب ان نستعمل الطرق التالية:

أ- طريقة الترغيب والتذكير: وكما رأى الدكتور سعيد الديوه جي(1988م) ان مسكويه "خرج بنتائج دقيقة منها ان الإنسان قابل للتهذيب في الإرشاد الى الخير إذا ما عني به منذ طفولته ، وان ما يتعلمه الطفل بالمحاكاة أكثر مما يتعلمه بالقول ، وان كرامة النفس من أول الأمور التي تنمي في الطفل..."(سعيد الديوه جي، 1988، ص232). كما اعتبر محمد خاتمي دارس فكر مسكويه في التربية السياسية والذي توصل الى ان مسكويه "يعتبر الدين والحكم توأمان ، لا يكتمل أحدهما إلا بالآخر ، فالإسلام هو الأساس والملك هو حارسه ، ويظهر الاستبداد والتغلب إذا كان الحاكم فاقدا للعدالة"(محمد خاتمي، 2001، ص212). فعلى الأب ان لا يربي الصبي بصورة استبدادية غليظة منذ طفولته حفاظا على كرامة نفس الصبي ، بل يقوم بتربيته بطريقة تهذيبية تذكره وترشده الى فعل الخير وتبعده عن فعل الشر.

ب- طريقة الترهيب: ان أول ما ينبغي ان يتعوده ويتعلمه الصبي ممن يقوم على تربيته ألا يعوده التوبيخ "...بل يمدح الأخيار عنده ، ويمدح هو في نفسه إذا ظهر شيء جميل منه ، ويخوف من المذمة على أدنى قبيح يظهر منه ، ويؤاخذ باشتهائه للمآكل والمشارب والملابس الفاخرة ، ويزين عنده خلق النفس والترفع عن الحرص في المآكل خاصة ، وفي اللذات عامة"(ابو علي محمد مسكويه، 2006، ص46).

وان خالف أحيانا ما ذكرناه لا نوبخه أيضا عليه ولا يكاشف بأنه أقدم عليه ، بل يتغافل عنه تغافل من لا يخطر بباله ، فان عاد فليوبخ عليه سرا ، فانك ان عودته التوبيخ والمكاشفة حملته على الوقاحة وحرضته على معاودة ما كان استقبحه ،كذلك ويهان عليه سماع الملامة ، وياله من أسلوب تهذيبي لين يعود الطفل على عدم سماع الملامات والمذمات ، ويبعده عن كل الأفعال القبيحة التي قام بها.

وهنا يظهر دور الوالدين "وعلى الوالدين أخذهم بها وبسائر الآداب الجميلة بضروب السياسات من الضروب إذا دعت اليه الحاجة أو التوبيخات ان صدتهم أو الأطماع في الكرامات أو غيرها مما يميلون اليه من الراحات أو يحذرونه من العقوبات..."(ابو علي محمد مسكويه، 2006، ص33).

إذا تربى الطفل على ذلك "لم يترك لمخالطة من سمع منه ضد ما ذكرناه لا سيما من أترابه ومن كان في مثل سنه ممن يعاشره ويلاعبه"(ابو علي محمد مسكويه، 2006، ص46). فالطفل يقلد أقرانه في سلوكاته

وأفعاله ، لذا يجب ان يبعد الصبي عن رفقاء السوء ومخالطة الفاسدين ، ويقترب من مصاحبة الأخيار مما يغري نفوس الصبيان بالفضائل.

ومن التعليمات التي وضعها مسكويه في تأديب الصبيان ان يلقنوا مبادئ الدين و الشريعة منذ حداثة سنهم "والشريعة هي التي تقوم الأحداث وتعودهم الأفعال المرضية ،وتعد نفوسهم لقبول الحكمة وطلب الفضائل والبلوغ الى السعادة الإنسية بالفكر الصحيح والقياس المستقيم"(ابو علي محمد مسكويه، 2006، ص33).

لذلك فالشريعة خير مهذب للأحداث وعلى المربي أو الوالدين ان يتبعوا ما جاء فيها من طرق رشيدة في تربية الأحداث ، "فالتربية الصالحة وتهذيب الطفل منذ نعومة أظافره وتوجيهه الى الفضائل وتحذيره من الرذائل هي التي تجعل منه إنسانا كاملا يستحق الحياة"(سعيد الديوه جي، 1988، ص234).

وللأبوين تأثير عظيم في الأحداث في أمور الدين ولا سيما في السنوات الأولى ، حتى ليصل التأثير الى تحويلهم عن الفطرة التي خلقهم الله تعالى عليها ، جاء في الحديث الصحيح: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"(الامام الزبيدي، 2007، ص241). فالتدرج مع الأحداث ضروري هذا ما ذهب اليه الأستاذ احمد عطا عمر في قوله: "وتعليم الأولاد على تلك الأسس يجب ان يكون بقدر ما يناسب عقولهم واستعداداتهم"(عمر احمد عطا، 2007، ص63).

وتنشئة الصبي على مبادئ الشريعة وفضائلها تجعل نفسه ميالة الى الخير عازفة عن الشر ، أما إذا أهمل الصبي ولم يربى على أسس الشريعة فان نفسه تكون ميالة الى الوقوع في الشر والإثم والإقبال على اللهو واللذات ، ومن هنا كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعهد الصغار منذ البداية ويربطهم بطاعة الله عز وجل.

فالتأديب مثله مثل البذرة والمؤدب كالأرض فمتى كانت الأرض رديئة ضاع البذر فيها ومتى كانت صالحة نشأ ونما ، فتأمل بفراستك من تخاطبه وتؤدبه وتعاشره ، والآداب التي يتعامل بها الإنسان مع الناس في كبره هي صدى مباشر لما تعلمه في صغره ، إذن ماذا ننتظر من طفل عودناه منذ الصغر ان يطلب ما يطلب بأدب ، وما نراه في الناس من سوء خلق وندرة أدب وجفاء في المعاملة هو نتيجة طبيعية لسوء التأديب في الصغر ، ورسولنا الكريم حينما كان يقبل الأطفال ويحنوا عليهم كان يهدف من ذلك الى غرس خلق الرحمة في نفوسهم ، لذا فقد كان كلما مر بصبيان هش لهم وسلم عليهم ، انه الأدب النبوي الرفيع في التأديب ؛ والتربية الأسرية التي وضعها مسكويه تشمل صورا وآدابا مختلفة.

2-الصور التربوية للطفل عند مسكويه:

أ-التربية الجسمية:

يفرد مسكويه للآداب العامة والخاصة بجسم الصبي جانبا من العناية ، ومن الآداب التي وصى بها وقومها مسكويه:

1- أدب الأكل: انه أول أدب وصى به مسكويه وبدأ في تقويمه ، ورأى ان الأكل ينبغي ان يفهم منه "إنما يراد للصحة لا للذة وان الأغذية كلها إنما خلقت واعدت لنا لتصح بها أبداننا وتصير مادة لحياتنا ، فهي تجري مجرى الأدوية...فكما ان الدواء لا يرام أو يراد للذة ولا يستكثر منه للشهوة كذلك الأطعمة ينبغي ان يتناول منها إلا ما يحفظ صحة البدن ويدفع الم الجوع"(ابو علي محمد مسكويه، 2006، ص47). بذلك يتعلم الطفل عدم الشره في تناول الطعام ومراعاة الاعتدال ، وإذا تناول الطعام مع غيره ان يؤثر من يشاركه فيه ، فلا يديم النظر الى ألوانه ، ولا يحدق اليه شديدا ، ويقتصر على ما يليه ، ولا يسرع في الأكل ، ولتا يعظم اللقمة ولا يبتلعها حتى يجيد مضغها ، ولا يلطخ يده ولا ثوبه.

وهذه الآداب حسب رأي مسكويه ان كانت جميلة بالفقراء فهي بالأغنياء أفضل وأجمل ، كذلك وينبغي للصبي "ان يستوفى غذاءه بالعشي فان استوفاه بالنهار كسل واحتاج الى النوم...وان منع اللحم في أكثر أوقاته كان أنفع له...وأما الحلواء والفاكهة فينبغي أن يمتنع منها وإلا فليتناول أقل ما يمكن فإنها تستحيل في بدنه فتكثر انحلاله وتعوده الشره...ويمنع من شرب الماء وهو يأكل ، أما النبيذ وأصناف الأشربة المسكرة فإياه وإياها فإنها تضره في بدنه ونفسه ، وتحمل على سرعة الغضب والتهور..."(ابو علي محمد مسكويه، 2006، ص47).

انه أول أدب من آداب التربية الجسمية والتي تعد من أكبر المسؤوليات التي أوجبها الإسلام على المربين تجاه الأحداث ، وفي هذا يرى الإمام الماوردي (972م-1057م) "ان التربية الجسدية ضرورية ، وان الجسم له دور في حياة الإنسان وضرورة الاهتمام به ، والجسد مادة الإنسان وبه قوامه فإذا عدم الإنسان المادة التي بها قوامه لم تدم له حياة ، ولم يستقم له دين"(عمر احمد عطا، 2007، ص94).

فعلى الوالدين ان يربوا الأحداث على الاعتدال في الطعام ، وفي ذلك يقول الله تعالى: "وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ"(القران الكريم، سورة الاعراف، اية رقم31).

2- أدب اللباس: يوصي مسكويه عن أدب اللباس فينبغي على الصبي ان يتربى على "عدم كشف أطرافه ، ولا يتزين بملابس النساء ولا يلبس خاتما إلاّ وقت حاجته اليه..."(ابو علي محمد مسكويه، 2006، ص48). ، ويجب أن يبتعد عن بعض العادات منها أن يربي شعره وعدم السرعة في المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره.

ان الغاية من هذه الآداب حسب الأستاذ احمد فؤاد الأهواني (ولد عام1908م): "ان يتعود على الخشونة ويصلب بدنه"(احمد فؤاد الأهواني، 1975، ص200). إضافة الى ذلك ولابد ان يعلم الصبي "ان أول الناس بالملابس الملونة والمنقوشة النساء اللاّتي يتزينّ للرجال ثم العبيد...وان الأحسن بأهل النبل والشرف من اللباس البياض"(ابو علي محمد مسكويه، 2006، ص46).

3- أدب المجالس: وأما عن هذا الأدب فيوصي مسكويه ان يعود الطفل "ان لا يبصق في مجالسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ، ولا يضع رجل على رجل ولا يضرب تحت ذقنه بساعده ولا يعمد رأسه بيده ، فان هذا دليل الكسل"(ابو علي محمد مسكويه، 2006، ص48).

ومن آداب المجالس التي يجب ان يتعلمها الطفل "ان يتجنب في الحديث الكذب ، ولا يحلف البتة لا صادقا ولا كاذبا فانه قبح بالمرء ويكون كلامه ، ويعود قلة الكلام فليستمع من أهل المجلس ما يفيده خاصة إذا كان في المجلس من هو اكبر منه فليستمع من كلامهم ويستفيد من تجارب حياتهم ، ويمنع من خبث الكلام وهجينه كالسب واللعن ولغو الكلام"(سعيد الديوه جي، 1988، ص239).

والرسول صلى الله عليه وسلم أرشدنا وعلمنا أدب المجالس ، من أهمها اختيار من نجالس ، وان نبتعد عن مجالس المعاصي والآثام فنجالس الصالحين وأهل الخير ، لأنّ من اختار مجالسة الصالحين كان مجلسه بعيدا عن المعاصي كالغيبة والنميمة.

4- التربية باللعب والحركة والرياضة: كذلك وأوصى مسكويه على اللعب والحركة والرياضة وأكد على هذه الصورة الم يقل: "ويعود المشي والحركة والركوب والرياضة حتى لا يتعود أضدادها"(ابو علي محمد مسكويه، 2006، ص48). وما يدل على صحة كلام مسكويه أَنَّ الله تعالى جعل اللعب طبيعة فطرية وغريزة في نفسية الأطفال وما ذلك إلا ليقوى جسم الصبي وعوده يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوي خير وأحب عند الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير"(زكي الدين عبد العظيم المنذري، 2007، ص414).

فاللعب ضروري للطفل "يبعث به النشاط ويزيل عنه التعب وينمي جسمه ويقوي عضلاته"(سعيد الديوه جي، 1988، ص237). وقد تكلم عن هذه النقطة علماء الدين والتربية وأكدوا عليها كثيرا لأهميتها في تنشئة الأحداث، وأنهم يتفقون بإجماع على ضرورة اللعب ومشاهدتها ان عجزوا اللعب، ومسكويه تدرج في حمل الطفل على اللعب بأن تكون الأعمال التي يمارسها لا ترهق جسمه يقول في ذلك: "وينبغي أن يؤذن له في بعض الأوقات ان يلعب لعبا جميلا ليستريح فيه من تعب الأدب ، ولا يكون في لعبه الم وتعب شديد"(ابو علي محمد مسكويه، 2006، ص49).

فإذا شذى يعود المشي والحركة والرياضة ، ثم ركوب الخيل ، يقول عمر بن الخطاب (584م-644م) في ذلك: "علموا أولادكم السباحة والرماية وان يثبوا على الخيل وثبا" ، وها هو رفاعة الطهطاوي وما حث عليه من تدريبات جسدية ومهارات رياضية للبنين من بينها "السباحة والفروسية وركوب الخيل والرمي واللعب بالرمح والسيف وأشباه ذلك...لأن هذه الأشياء من المنافع العمومية للطفل"(شبل بدران، 2001، ص24).

ب-التربية العقلية الفكرية:

اهتم مسكويه بتربية الطفل وطالب بضرورة وضع المناهج المتنوعة لأنّ المناهج تلعب دورا كبيرا في نفسية الصبي والقدرات العقلية في حاجة الى إنضاج وليس من سبيل الى ذلك إلا بالتعليم.

يقول مسكويه: "فمن اتفق له في الصبا ان يربى على أدب الشريعة ويأخذ بوظائفها وشرائطها حتى يتعودها، ثم ينظر بعد ذلك في كتب الاخلاق حتى تتأكد تلك الآداب والمحاسن في نفسه بالبراهين ، ثم ينظر في الحساب والهندسة حتى يتعود صدق القول وصحة البرهان فلا يسكن إلا إليها ، ثم يتدرج حتى يبلغ الى أقصى مرتبة الإنسان فهو السعيد الكامل"(ابو علي محمد مسكويه، 2006، ص ص41 42).

فالرياضيات مثلا حسب مسكويه تحرك الحرارة الغريزية وتحفظ الصحة وتنفي الكسل وتطرد البلادة وتبعث النشاط وتزكي النفس. كما وأكد مسكويه ان يعامل الصبي في هذه المرحلة معاملة رجل له كلمته ورأيه فيما يبديه ليعتد بنفسه وتصرفه منذ صغره لأنه امتاز بكرامة النفس وهي اسمى مطالب الحياة "فالأولى بمثل هذه النفس ان تنبه أبدا على حب الكرامة ، لا سيما ما يحصل منها بالدين دون المال ويلزم سننه ووظائفه ثم يمدح الأخيار عنده ويمدح هو في نفسه إذا شيء جميل منه ، ويخوف من المذمة على أدنى قبيح يظهر منه"(سعيد الديوه جي، 1988، ص236).

أما وسائل التربية الفكرية فتتمثل في المحاورات والمناظرات والتجارب والاطلاع والمدارسة ومجالسة العلماء ، الم يقل مسكويه: "ثم يطالب الصبي بحفظ محاسن الأخبار والأشعار التي تجري مجرى ما تعوده بالأدب حتى يتأكد عنده بروايتها وحفظها والمذاكرة بها"(ابو علي محمد مسكويه، 2006، ص46).

كما وحذر مسكويه أن يربّى الصبي على رواية الشعر الفاحش لأنه يعج بالأكاذيب ، بل ان يستحسن ما يوجد فيه من ذكر القبائح ونيل اللذات ، مثلا كالفواحش والأكاذيب والقبائح التي تعج شعر امرؤ القيس وغيره من الشعراء لأنها وحسب مسكويه مفسدة للأحداث.

وتنبع أهمية التربية الفكرية للصغير بوضعه في محيط اجتماعي ومدرسي تسوده السلوكات الفاضلة ، والصغير إذا تعود "ان تكون سيرته فاضلة ولم يقدم على شيء من أفعاله إلاّ بعد مطالعة العقل الصريح وبعد مراعاة الشريعة القويمة كانت أفعالها كلها منظمة غير مختلفة ولا خارجة عن سنن الدين...ان السعيد هو ما اتفق له في صباه ان يَأنس بالشريعة ويستسلم لها ، ويتعود جميع ما تأمر به ، حتى إذا بلغ المبلغ الذي يمكنه من ان يعرف الأسباب والعِلل طَالع الحكمة فوجدها موافقة لما
تقدمت استحكم رأيه ، وقويت بصيرته ونفذت عزيمته"(ابو علي محمد مسكويه، 2006، ص47).

ثالثا/ دور البيئة التعليمية في تربية الأحداث:

ان في المرحلة التعليمية للطفل يعلق مسكويه اكبر الأثر على شخصية المعلم وحسن تصرفه مع الأحداث ، ومن الشروط التي وضعها مسكويه الواجب توفرها في المعلم:

- ان يكون من ذوي الاخلاق الفاضلة.
- ان يكون حلو الكلام ، طلق الوجه.
- ان يكون مظهره جميل لا يوحش الأحداث.
- ان يحادث الأحداث بما يفهمونه ويتدبرونه ، فالمعلم قدوة للأحداث ومثلهم الأعلى.

ان مكانة المعلم أو المربي في نظر مسكويه يوضحها سعيد الديوه جي في قوله: "ومكانة المعلم لا تتوقف على علمه ، بل على حسن عمله وسياسته الناجحة في تهذيب الأطفال قبل تعليمهم ، فالتعليم بالمقابل

والتهذيب بالفعال ، فأخلاقه وتصرفه تنطبع في نفوس الأحداث ، وما يتعلمه الطفل بالمحاكاة أكثر مما يتعلمه بالقول"(سعيد الديوه جي، 1988، ص234).

والقدوة الحسنة خير وسيلة لتربية الأطفال لذلك كان الصحابة والسلف الصالح حريصين على اختيار المعلم الصالح لأنّ الطفل في صغره يَعتبر معلمه المصدر الأساسي لاستقاء ما يعينه على الحياة.

–المادة العلمية: أما عن تفصيلات المادة العلمية التي ينبغي على المعلم ان يعلمها للصبي ، الشريعة لأنها تقوم بإعداد نفوس الصبيان لقبول الحكمة وطلب الفضائل بالفكر الصحيح والقياس المستقيم ، كذلك وأنها رأس العلوم النافعة ، فالطفل إذا تعلم العلم النافع كان المؤمن الكامل والمسلم الصادق والمواطن الصالح والرجل المثالي في مجتمعه.

أيضا وطالب مسكويه ان يتعلم الصبي الشعر النافع ويبتعد عن شعر العشق وأهله لأنّ فيه مفسدة للصبي ، لذلك فينبغي على المعلم "ان يهتم بتنمية السلوك العملي الرشيد ، كما يجب ان يهتم بالجوانب الوظيفية والتطبيقية ، لما يتعلمه الطفل في واقع حياته كفرد وفي واقع المجتمع الإسلامي الكبير لأنّ الناشئة لا يمكن ان يتعلموا ألوان السلوك إلا إذا مارسوها وأصبحت عادة لديهم ، فعدم الاقتصار على المعرفة اللفظية فقط وإنما ان يربط المعلم بين الفكر والعمل"(ابتسام السحماوي، 2003، ص103). وبذلك فالسلوكات التي يتعلمها الصبي في المرحلة التعليمية تصبح عادة له لكن إذا كانت مشحونة بالذكاء تستطيع ان تواجه التغير والتطور في المستقبل.

وهناك نقطة مهمة أكد عليها مسكويه فيما يخص التعليم وهي انه طالب بالتعليم المستمر ، أما الأسباب التي جعلته يطالب بالتعليم المستمر هي:

1- ان العلم لا نهاية له ، وفوق كل ذي علم عليم.

2- ان ترك العلم يدل على إعجاب الإنسان بنفسه وهو خلق مذموم.

3- النسيان آفة العلم ، وعلى الإنسان ان يجدد معارفه وعلومه كي يسلم من تلك الآفة.

4- ترك طلب العلم دليل الكسل وهو بخلاف أخلاق السعي والعمل.

5- من أسباب سعادة الإنسان طلبه للعلم ففيه لذة مطالعة الحكمة.

6- لا يخلو الإنسان من الجهل وعلاج الجهل هو العلم ، فالحكمة هي التي تُخلِّص الإنسان من الظنون الكاذبة التي هي نتاج الجهالات.

والملاحظ لدى مسكويه أنه قرن السعادة بالتربية وأكد على أنّ الإنسان في ابتداء تكوينه محتاج الى سياسة الوالدين ثم الى الشريعة الإلهية والدين القيم حتى تهديه وتقومه الى الحكمة البالغة ليتولى تدبير نفسه الى آخر عمره.

وخلاصة القول إنَّ نظرية التربية عند مسكويه تتلخص في النقاط التالية:

1- إننا قابلون للإصلاح هكذا أكد مسكويه هذا الأصل في مقدمة كتاب تهذيب الاخلاق ، فالوراثة تلعب دورا كبيرا في تشكيل السلوك ، لكن دور التربية اكبر في تغيير النفوس.

2- اِنَّ التأديب والتعليم يجريان في النفس مجرى القوت من البدن.

3- التربية عملية اجتماعية ، وكما رأينا في الفصل الثاني من هذا البحث أَنَّ الإنسان دائم الأنس بالناس فهو كائن اجتماعي مدني بالطبع.

4- ركز مسكويه على العادة ، فالمهارات إذا لم نمارسها لا نتقنها.

نعم ان كتابات مسكويه التربوية انبثقت من عقلية باحثة عن القيم العملية الرفيعة لإسعاد الناس وحماية المجتمع نظريا وعمليا ، رابطا في رؤاه بين الشريعة والرؤية الفلسفية المقومة لأخلاق الإنسان في مختلف أحواله ، أيضا وجاءت كتاباته كمحاولة وسطية جادة للتوفيق بين تعاليم الدين والفلسفة بألفاظ لطيفة وبلغة سلسة المأخذ تستهوي النفس.

والملاحظ كذلك اَنَّ مسكويه لم يتعرض للتراث اليوناني بالنقد ، ولكن الكثير مما نقله يعد من القيم الإنسانية العامة التي لا وجه لنقدها فنقلها بعد انتقاص وتمحيص ، فمثلا في فصل تأديب الأحداث والصبيان وأكثره كما قال منقول من كتاب بروسن اليوناني ، وهذه صورة من صور الأمانة العلمية عكس بعض علماء المسلمين من الفلاسفة الذين نقلوا من تراث اليونان دون ان يصرحوا بذلك.

انه أراد أَنْ يبين أَنَّ مقصود الإسلام هو الارتقاء بالخلق ، فكلما تهذبت أخلاق الأمم كلما تقدمت في مضمار الحضارة ، كما أراد ان يبين ويرد على بعض الفلاسفة الذين يرون أَنّ الاخلاق وراثية لا تتغير ، وإذا كانت كذلك فلا حاجة لنا للتربية والتعليم ، أيضا واثبت أن فضائل العقل لا تتعارض مع فرائض الدين ، وأن للتهذيب طرائق عملية كثيرة ينبغي الاطلاع عليها والاسترشاد بها ، فالتربية الاسلامية حسب مسكويه لا تتناقض ولا تتعارض مع كثير من الفضائل المعروفة في الحضارات السابقة لأن بعضها لا يتفق مع مضمون الفكر الإسلامي.

إلا ان مسكويه لم يذكر تفصيلات حول المادة العلمية التي ينبغي للصبي ان يتعلمها عدا الدين والشعر، وفي نفس الوقت لم يُشِر بطريقة مفصلة الى آداب المعلمين كما يفعل سائر المربين.

ومن ناحية أخرى فقد اعتبر الأستاذ احمد محمود صبحي ان فكر مسكويه عبارة عن "نظريات تلفيقية من حيث هي أمشاج من آراء ارسطو وأفلاطون وجالينوس وبريسن فضلا عن الشريعة الاسلامية"(احمد محمود صبحي، 1992، ص312).

وعلى أَيَّة حال فان آراء مسكويه في فلسفة الأخلاق والتربية بالمفهوم الشامل للكلمة من الأفكار الرائدة في الفكر الإسلامي والإنساني ، ان الغاية من الأخلاق والتربية واحدة وهي البحث عن السعادة.

أجل انه علم من أعلام التربية ، وله فضل السبق في كونه من أوائل المتناولين لموضوع الاخلاق وفلسفة التربية ، "فهو أول من وجه الأنظار الى الدراسات الأخلاقية بين فلاسفة الإسلام ، ومن حيث انه قد حاول التوفيق بين النظر والعمل فضلا عن اهتمامه بتربية الأحداث كي يشبوا على الفضيلة"(احمد محمود صبحي، 1992، ص312). في كتاب محدد الغاية عملي النزعة ، منظم الموضوعات واضح الأدلة قوي البيان يفيض بالأمل والتفاؤل.

ولقد كان لهذا الفكر التربوي المسكويهي اثر كبير في الفكر الإسلامي ، فلقد تأثروا به تأثرا واضحا وان لم يذكروا اسمه في بعض الأحيان ، نعم إنهم استفادوا منه كثيرا واطلعوا على أفكاره ، يقول الأستاذ المغربي علي عبد الفتاح: "ان لم يكونوا عليه عالة في بعض المواقف"(علي عبد الفتاح المغربي، 1995، ص278).

الخاتمة:

تأسيسًا على ما تقدّم، يتبيّن أن نظرية التربية عند ابن مسكويه لا تنحصر في بعدها التعليمي الضيّق، بل ترتقي إلى مشروع أخلاقي–اجتماعي متكامل، غايته بناء الإنسان الفاضل القادر على تحقيق التوازن بين قواه النفسية، والارتقاء من مرتبة الانفعال إلى مقام التعقّل والاعتدال. فالتربية عنده ليست تلقينًا للمعارف، بل تهذيب للنفس، وتدريبًا عمليًا على اكتساب الفضائل عبر العادة والمجاهدة، حتى تصير الأخلاق ملكات راسخة.

كما تكشف هذه النظرية عن وعي عميق بالعلاقة الجدلية بين الفرد والمجتمع؛ إذ ان إصلاح العمران يبدأ بإصلاح الإنسان، ولا يتحقق صلاح الإنسان إلا في إطار مجتمع منظم تسوده القيم. ومن ثمّ فإن التربية

المسكويهية تؤسس لمفهوم إنساني يقوم على مركزية العقل، وتوجيه الشهوة والغضب وفق معيار الحكمة، بما يفضي إلى تحقيق السعادة بوصفها كمالًا أخلاقيًا لا لذّة عابرة.

وعليه، فإن راهنية فكر مسكويه تكمن في قدرته على إلهام تصور تربوي معاصر يعيد الاعتبار للأخلاق في زمن هيمنت فيه النزعات المادية والنفعية؛ إذ يذكّرنا بأن بناء الحضارات يبدأ ببناء الإنسان، وأن التربية الحقة هي التي تُنَمِّي العقل، وتُزَكِّي النفس، وتُوَجِّه الإرادة نحو الخير الأسمى.

قائمة المراجع مرتبة ومرقمة:

1 القران الكريم: سورة الأحزاب ، اية رقم21.

2 عطا عمر احمد ،2007، تربية الطفل في الإسلام ، دار الفكر ، الأردن.

3 الأهواني احمد فؤاد، 1975، التربية في الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة – مصر.

4 المنذري زكي الدين عبد العظيم، 2007، مختصر صحيح مسلم ، الشركة الجزائرية اللبنانية ، الجزائر.

5 شبل بدران، 2001 رواد الفكر التربوي ، دار المعارف الجامعية ، الإسكندرية – مصر.

6 السحماوي ابتسام، 2003، في فلسفة التربية ، دار الفكر العربي ، القاهرة – مصر.

7 صبحي احمد محمود، 1992، الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي ، دار النهضة العربية ، بيروت– لبنان.

8 المغربي علي عبد الفتاح ، 1995، الفضيلة والسعادة عند مسكويه – الدكتور توفيق الطويل مفكرا عربيا ورائدا للفلسفة الخلقية بحوث عنه ودراسات مهداة اليه ، إشراف: د– عاطف العراقي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة– مصر..

9 مسكويه ابو علي محمد، 2006 ، تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، تحقيق: د– نواف الجراح ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت.

10 سليماني محمد حمزة و ملا معمور بار عبد المنان،1995، الخلق منظور تربوي نفسي لدى كل من ابن مسكويه والغزالي، مجلة جامعة ام القرى للبحوث العلمية المحكمة ، المجلد:9، العدد:11.

11 السحماني اسعد، 1988 ، الاخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة ، دار النفائس ، بيروت.

12 نواف احمد سمارة و عبد السلام موسى العديلي: مفاهيم ومصطلحات في العلوم التربوية ، دار المسيرة ، عمان – الأردن ، ط1 ، 2008.

13 الديوه جي سعيد، 1988، ابن مسكويه من أعلام التربية العربية الاسلامية ، مكتبة التربية العربي لدول الخليج ، الرياض- السعودية.

14 خاتمي محمد، 2001، الدين والفكر في فخ الاستبداد، دراسة في الفكر السياسي للمسلمين بين ازدهار الحضارة الاسلامية وانهيارها ، تع: ثريا محمد علي ، مكتبة الشروق ، القاهرة – مصر.

15 الزبيدي الإمام،2007، مختصر صحيح البخاري ، الشركة الجزائرية اللبنانية ، الجزائر.

16 شبشوب احمد، 1991، علوم التربية ، الدار التونسية للنشر، تونس.